

الوقف الإسلامي والدور الذي لعبه في النمو الاقتصادي والاجتماعى فى الاسلام

د . عبدالمملك أحمد السيد

(خلاصة)

ان الاديان السماوية قد قامت بدور رئيسي في توجيه اتباعها في مختلف العصور للقيام بادوار اقتصادية ايجابية أو سلبية ولكن هذه الاديان تختلف فيما بينها في نوعية هذا التوجيه وفي نوعية الممارسات الاقتصادية والتي تتجه نحو تنمية الانسان وموارده المادية والروحية .

ويتميز الدين الاسلامى بطبيعته فى أنه أتى لهداية البشرية كلها كما انه لم يقتصر على النشاط الروحى وعلى علاقة الانسان بخالقه فقط بل انه أتى كدين وكدولة فى وقت واحد فوضع أسسا للنشاطات الانسانية فوجه الحياة الاقتصادية توجيها ايجابيا للمسلمين وشدد على تنمية الفرد وتنمية موارده وفى نمط تفكيره فوجد فى الاسلام العديد من المؤسسات الاقتصادية ووجه نشاطاتها نحو الغايات الاجتماعية للانسان .

وقد كان الوقف هو أحد أهم المؤسسات التى نبعت من الدين الاسلامى وانبثقت من متطلباته واعتبر الوقف بأنه مؤسسة دينية رئيسية فى الفكر والنظام الاسلامى وفى مساعى الافراد للتقرب من الله تعالى خالقهم .

وقد لعب الوقف دورا أساسيا فى عملية التطور والتنمية الاقتصادية والتنمية البشرية وفى التطور الروحى للمسلمين ، فعلى موارد الوقف ونموها اعتمدت أهم المساجد فى ديار الاسلام والتى لم تكن مراكز للعبادة فقط بل انها كانت مراكز تنمية

وتطور لمختلف فروع المعرفة في الاسلام كما أن المساجد قد كانت ولا تزال مراكز للتعليم الاساسى للفرد العادى وللتعليم المتخصص في المساجد الكبرى .

لذا فإن الروح الدينى والعملية التنموية التى ساهم بها المسجد لتنمية قدرات ومهارات الافراد من المسلمين هى التى نقلتهم من طور حضارى الى طور آخر اكثر تقدما فى كل مجالات الحياة وكل ذلك اعتمد اعتمادا على موارد الوقف .

كما انه نتيجة لموقف الاسلام من كونه دين ودولة فإنه قد تطور فيه نظام لتنمية الفرد الاسلامى من خلال الايقاف على المدارس والمكتبات التى نشأت خارج المساجد والتى اعتمدت اعتمادا بالدرجة الاولى على ما اوقف المحسنون من المسلمين عليها وان كثرة الايقاف من قبل الورعين عليها مما جعلت الدولة الاسلامية ترى أنه لأتوجد ضرورة أو حاجة هنالك لايجاد مؤسسات رسمية للقيام بهذا النشاط التنموى، فبقى بذلك التعليم العالى والتخصصى مثله مثل حال التعليم العام حرا غير مقيد بسياسة معينة أو بمذهب معين ولم تنشأ له دواوين تنظمه أو تسيطر عليه كما هو الحال فى باقى النشاطات التى سيطرت عليها ووجهتها الاجهزة الرسمية المختلفة من خلال دواوين الدولة وبذلك ترعرعت المدارس الفقهية والفلسفية والادبية المختلفة فى الاسلام ونمت بحرية بدون توجيه من أجهزة الدولة ورعايتها . لان الايقاف على المدارس لم يشترط فى آيه وقفية منها الحجر على رأى من الآراء . . لذا استطاع المسلمون من خلال هذه الانشطة التعليمية التى عضدتها الاموال الموقوفة من أن تكون رائدة بالنسبة لكل نظم التعليم فى العالم . ومن المسلمين اقتبس الغربيون نظم المدارس والجامعات ومؤسسات البحث والتطور .

كذلك كان الوقف هو المصدر الرئيسى للعناية بصحة الانسان المسلم ورعاية شؤونه العقلية والبدنية فأنشأت المستشفيات فى مختلف ديار الاسلام اعتمادا على موارد الوقف التى قام بايقافها المحسنون نتيجة ايمانهم العميق بدينهم واتباعا لتوجيهات القرآن الكريم وبذلك نمت صحة المجتمع وتطورت مؤسساته الصحية

التعليمية وطرق البحث السريرية والمداوات وفن الصيدلة ولم تكن هذه النشاطات كلها نشاطات حكومية صرفة كما هو الحال عليه الآن في وقتنا الحاضر.

كذلك باعتماد المسلمين في تنمية قدراتهم البشرية في بناء الفرد المسلم المتعلم سواء من خلال المؤسسات التعليمية التي وجدت خارج المسجد أو تلك التي جرت في المساجد فإن موارد الوقف التي خصصت لهذه المؤسسات هي التي جعلت متعلميها وخريجياتها في العصور التي رافقت الاستعمار الغربي بأنهم الوحيدين الذين استطاعوا أن يقفوا ضد موجات الاستعمار هذا من مشرق العالم الاسلامي الى مغربه اذ اعتمد هؤلاء المتعلمون على موارد الوقف في مقاومة الاستعمار وفي تنظيم أمور المسلمين وفي قيادتهم للحد من هذه الموجات الاستعمارية وتطور مكافحة مساعي الكنيسة في تنصير المسلمين.

غير أن هذا الدور المشرق والرائد الذي لعبته الاوقاف الاسلامية في المجتمع الاسلامي قد أخذ يتناقص في العصر الحديث نتيجة لعوامل متعددة منها تأثير الاستعمار وما أتى به من آراء بثها بين أبناء المسلمين ومنها أن العديد من الدول الحديثة في المجتمعات الاسلامية اما أنها الغت الاوقاف كليا بحجة أو بأخرى أو أنها قد الغت ما يسمى بالوقف الذرى فحددت بذلك اتجاهات أهل الخير في أن يقوموا بايقاف، ايقافات جديدة كما أن الحكومات الاسلامية الحديثة سيطرت على الاوقاف القديمة وأخذت تديرها من خلال أجهزة ادارية تقليدية مرتبطة بجهاز الدولة دعته بوزارات الاوقاف أو ادارات الاوقاف أو ديوانا الاوقاف واخضعت هذه الاجهزة للنوازع السياسية وتقلباتها وبذلك قل تأثير الوقف اقتصاديا وقل تأثيره في عمليات التنمية واندثر دوره الرائد في تنمية التعليم والتنمية البشرية والصحية في أغلب المجتمعات الاسلامية حاليا.

وحيث ان الاحوال الاجتماعية والاوضاع الاقتصادية في الديار الاسلامية قد جرى عليها تغييرات واسعة خلال العقدين الاخرين من هذا القرن فمن ناحية فان الروح الدينية وجذوة الاسلام قد ابتدأت مرة اخرى بالانبعاث ومن الناحية

الثانية نجد انه يتوفر الآن فى ديار المسلمين العديد من أصحاب الثروات أو أن مجرد الاعتماد على الدولة فى القيام بكل النشاطات هو أمر غير صحى بل به أشد الضرر.

لذا فان هذا البحث يحاول ان يوجه الانظار الى أهمية الوقف والى الدور الذى يمكن له أن يلعبه فى مستقبل المسلمين وفى تنمية أفرادهم واقتصادهم كما قام بذلك من قبل .

